

قرن حاكمية الإسلام

المناسبة: مولد النبي الأكرم(ص) والإمام الصادق(ع)

الزمان والمكان: 17 ربيع الأول 1420 هـ – ق طهران

الحضور: كبار مسؤولي الدولة وعدد من سفراء الدول الإسلامية في طهران

بسم الله الرحمن الرحيم

أتقدّم بمناسبة هذا العيد المبارك بالتهاني والتبريكات إلى الأمة الإسلامية جمعاء، وخاصة الشعب الإيراني المسلم العظيم وإليكم أيها الحضور الكرام.

ولادة الرسول(ص) طوت صفحة الظلم والطغيان

إنّ بركة أيّ مولود أو أئمة ولادة إنّما تقاس في المعايير البشرية بالآثار المترتبة عليها مباشرة أو على نحو غير مباشر؛ فإذا ما كان هذا المعيار سليماً – وهو سليم طبعاً – ينبغي القول: أنّ المولود الذي اقترن وجوده بأكثر البركات على امتداد تاريخ الإنسانية هو الرسول الكريم (ص)؛ حيث ابتدأت هذه البركات منذ لحظة ولادته.

وليس هذا بمستغرب؛ لأنّ عيسى (عليه الصلاة والسلام) قال في بداية ولادته: «وجعلني مباركاً أين ما كنت»¹، فهو قد أعلن بركة ولادته منذ ساعاته أو أيامه الأولى، وهكذا الحال أيضاً بالنسبة إلى رسولنا الكريم؛ إذ نقلت التواريخ أنّ برج قصر كسرى قد انهار، ومعبدًا قديماً للنار خبت ناره، وغير ذلك من العلائم والدلالات التي جاءت كبشائر لبركات هذا الموجود العظيم.

كل ما كان سائداً في هذا العالم من كفر وشرك وظلم واستبداد وتفرقة بين بني الإنسان كان لابدّ أن يزول تدريجاً، ببركة وجود هذا الإنسان العظيم الممتاز الأوحد.

¹ سورة مريم، الآية: 31.

فقد تعهّد، على صعيد العمل والمجاهدة، بحمل أثقل الأعباء وأعسرّها، وكانت بداية هذا الطريق ومنطلق هذه الدعوة أهمّ مقاطع هذا العمل وأخرجها.

كانت معضلة ذلك العصر أنّ الناس فيه ألفوا تسلّط الطواغيت، واعتادوا في كل أرجاء العالم على حاكمية غير الله، وعلى سيادة الطاغوت وسيادة الظلم واختلاف الطبقات.

فمن ذا الذي كان يجب أن يتصدّى لمثل هذه الظواهر؟ من الطبيعي أنّ المظلومين هم الذين يجب أن يتصدّوا لمثل هذه الظواهر، ولكن إذا كان المظلومون أنفسهم يعتقدون بوجوب بقاء مثل هذه الأوضاع، فلا يبقى هناك أمل في الإصلاح، وهكذا كانت توعية الناس وإيقاظ البشرية هي المهمة الكبرى التي اضطلع بها الرسول(ص)، وأدّتها الدعوة النبوية <إن هو إلّا ذكر للعالمين>²، فهو ذكر وتوعية وتنبيه لكل البشرية، علماً أنّ الموقع الذي أخذ فيه رسول الله على عاتقه مهمة هذه التوعية كان من أصعب المواقع، حيث اصطدمت مهمّته هناك بأنواع التعصّب والنزعات القبلية والميول الشخصية والاتجاهات الفردية؛ فتحمل (صلوات الله عليه) جهوداً شاقّة على هذا السبيل إلى أن استطاع فتح منفذ في هذا الحاجز البشري، وشقّ طريقه وسط هذه الصخرة الصلدة، وكل من نهض بعمل من بعد ذلك إلى يومنا هذا، إنّما جاء عمله اتباعاً لخُطى الرسول واستمراراً في السير على منهجه.

البشرية مدينة لشخص الرسول(ص) في كل تقدّم أحرزته

لم يكن المسلمون وحدهم هم الذين استفادوا من التعاليم النبوية، بل إنّ كل حضارة اليوم وكل العلوم الموجودة في العالم، وكل تقدّم أحرزه ركب الحضارة البشرية مدين لشخص الرسول.

وهذا المعنى ليس من مزاعمنا نحن المسلمين، فكل المؤرّخين والمنصفين يقرّون: أنّ النهوض العلمي الذي حصل في العالم الإسلامي قد انتقل إلى بقاع العالم الأخرى، عن طريق الذهاب والإياب، وحتى عن طريق الحروب والفتوحات.

² سورة يوسف، الآية: 104.

وحتى المعارف والأفكار البشرية التي أصبحت اليوم موضع اهتمام من قِبَل الإنسان، من قبيل الحرية والمساواة وحقوق الإنسان والإخاء، كلّها في الحقيقة هدية قدّمها لنا هذا الإنسان العظيم.

وفي العالم الإسلامي تمخّض عن تلك الحركة الكبرى قيام نظام إسلامي؛ إذ لم تكن الغاية من تعاليم هذا الدين محدّدة في إطار إرشاد الناس ووعظهم، وإنّما جاءت لصياغة قالب النظام البشري بالشكل الذي يسهّل الحركة في هذا القالب بإتجاه تلك الأهداف، ويزيل أيّة معوّقات تقف في هذا السبيل.

وهذا هو ما يعرف بالنظام الإسلامي.

لقد أدركت الشعوب الإسلامية اليوم — والحمد لله — أهمية النظام الإسلامي، واتّجه كتّاب وخطباء كثيرون على مدى سنوات طويلة صوب هذا المنحى، وبدأت موجة الصحوة الإسلامية، وتنبّهت المجتمعات الإسلامية إلى أهميّة ما لديها من ذخيرة قيّمة، فيما أخذت المواقف العدائية لأعداء الإسلام تزداد بنفس تلك النسبة، ودأبت تلك الجهات على بثّ الفرقة والاختلاف بين الشعوب الإسلامية، وإثارة النعرات العرقية والقومية والعصبية؛ لغرض تشتيت شمل المسلمين.

وهذا إنّما يدل على أنّ الأعداء أدركوا أنّ الصحوة الإسلامية أخذت تفعل فعلها في ربوع العالم الإسلامي، وهذا هو عين الصواب؛ إذ من المؤكّد أنّ هذا الشعور سيقود الشعوب الإسلامية نحو إقامة نظام إسلامي، ونحو توحيد الأمّة الإسلامية، وهذا أمر حتمي، ولن يكون لهذه المواقف العدائية أيّ تأثير؛ لأنّ طاقات وقدرات الإسلام أكبر من هذه المواقف.

مثلاً حصل في إيران الإسلامية ووقع ما لم يكن في حسابان أي أحد، واستطاعت قدرات الإسلام العظيمة توحيد أبناء الشعب كافّة وتألّيف القلوب، وجعلت الإيمان سنداً لتلك الحركة الجماهيرية، وأقيم نظام إسلامي في هذا البلد.

شعار الجمهورية الإسلامية سيادة الدين وحاكميته

الذين ينتقدون نظام الجمهورية الإسلامية يبحثون عن نقاط الضعف الموجودة في هذا النظام، ولعلّنا أعلم ببعض نقاط ضعفنا منهم؛ فالمرء يعرف عيوب نفسه أكثر ممّا يعرفها غيره.

والقضية هي ليست هل في الجمهورية الإسلامية نقاط ضعف أو لا؟ فهي لا تخلو من نقاط الضعف، ولكن المهم هو: أن إنجازاً هائلاً قد تتحقق، رغم نقاط الضعف هذه، ووقعت حادثة تعتبر الأكبر من نوعها على مدى القرون الأخيرة في العالم الإسلامي، وتلك هي إقامة الحكومة الإسلامية وتحقيق سيادة الدين والقيم الإسلامية، ورفع راية القرآن، وبناء المجتمع على أساس المعارف الإسلامية.

أمّا نقاط الضعف فهي موجودة من غير شك، والحقيقة هي: أن ضعفنا وقصورنا هو الذي يلقي بظلاله على هذا النظام؛ وهذا ما يوجب علينا السعي من أجل تقليل نقاط ضعفنا، والارتقاء بمستوى النظام الإسلامي وتقويته؛ وهذا هو أصل القضية التي لا يريد العدو للمسلمين أن يتنبّهوا لها.

لقد كان إيجاد مثل هذا النظام، في هذا العالم المادي ووسط كل هذا العداء الموجه ضد الإسلام، بحق معجزة، وستكرر وقوع هذه المعجزة، وستقام الأمة الإسلامية الواحدة مرة أخرى.

ومن الطبيعي أن العدو لن يقف إزاء هذه الأوضاع مكتوف الأيدي، بل سيحاول من خلال إذاعاته، وبواسطة الأعمال الفكرية والثقافية زعزعة إيمان الشعب، إلا أنه لم ولن يستطيع بحول الله وقوته من تحقيق ذلك؛ لأن الإيمان بالإسلام أقوى وأصلب وأكثر رسوخاً من هذه الممارسات البالية.

إنّ التشبّث بنقاط الضعف يراد منه النيل من أصل المبدأ، في حين أن هاتين القضيتين لا صلة بينهما، ويحاول العدو تركيز مساعيه على زعزعة ثقة الشعب بحكم الدين وبوجود نظام سياسي في الدين، وبجدوى وفاعلية مثل هذا النظام؛ هذه المساعي المعادية ليست وليدة اليوم، وإنما هي موجودة منذ عشرين سنة؛ بيد أن مسيرة الإسلام والحركة الإسلامية كالتيار الجارف الذي يكتسح هذه المعوّقات والموانع، ويلقيها جانباً، وهكذا سيكون موقفه أيضاً إزاء العراقيل والمعوّقات الموجودة حالياً، والتي لا تريد لهذا التيار الزلال الصافي أن يسير قدماً، إذ إنه سيكتسحها أيضاً، ويواصل مسيرته بكل اندفاع.

المهم هو أن لا نفقد الأمل والتوكّل وحسن الظن بالله والدين، وبهذه الأحكام والمعارف، وإنّ ما يوجب التقدّم هو رسوخ الإيمان والأمل والثقة؛ ولهذا نجد العدو يستهدف زعزعة هذه الأركان.

عليكم بالحدز واليقظة وخاصة أنتم الخواص، والمسؤولين، والمتقنين، والخطباء، والعلماء، والجامعيين المحترمين.

فأنتم تلاحظون أن العدو يستهدف زعزعة الإيمان والثقة والأمل في نفوس الناس؛ والواجب يفرض عليكم العمل على ترسيخ أسباب الإيمان والثقة والأمل، وأما الباقي فإن الدين، بما لديه من قدرة، كفيل به.

يتصور العدو أن مسيرة تيار الدين رهينة بالأشخاص، ولكننا في الحقيقة نسير وراء تيار الدين، ولا نوجه مسار حركته.

ومن نحن حتى نستطيع أن نفعل ذلك! فتيار الدين قادر على أن يجرفنا في مساره.

لقد انطلق هذا التيار، ولن يتوقف، وما محاولات الأعداء هذه إلا جهود عقيمة.

لقد من الله علينا بفضلته منذ أول الثورة، وقد شاهدنا يد القدرة الإلهية بكل وضوح، ولمسنا رعاية بقية الله الأعظم (أرواحنا له الفداء) في مختلف الأحداث والقضايا، وهذا ما وعدنا به <كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه>³، وقد تحقق مصداقه في حركتكم أنتم أبناء الشعب المسلم.

أسأل الله أن ينزل بركاته وفضله وفيضه على الروح الطاهرة لإمامنا الراحل، الذي يعتبر هو القائد الحقيقي والزعيم الريادي لهذا النهج، وأن ينزل من رحمته الواسعة على الأرواح الطيبة للشهداء الذين ذلّلوا الطريق أمام هذه الحركة، ويمنّ ببركاته على الشعب الإيراني الكبير، وخاصة المضحيين منهم، ويؤيد المسؤولين المحترمين الذين يواصلون عملهم بجد ومثابرة ونشاط دؤوب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته